اسباب الفوز في الحرب العظمى

كتب الاميرال سمس الاميركي مقالة مسهبة في مجلة بيرصن الانكليزية وصف فيها اسباب فوز الحلفاء في هذه الحرب فاقتطفنا منها ما يلي قال

كنت في اواخر شهر مارس من سنة ١٩١٧ في نيوبورت (باميركا) في رآسة المدرسة الكلية الحربية البحرية فاتاني تلغراف من وزارة البحرية يدعوني لابادر الى مدينة وشنطون على طريقة سرية حتى لا يدري احد بذهابي وعالما اصل اليها اخاطب وزير البحرية بالتلفون . فلبّيت الطلب واطلعني المستر دانيلس على الغرض من استدعائي وهو امكان دخول اميركا الحرب حالاً وان المستر بلج السفير في لندن طلب ان يُرسل اليها رجل عالي الرتبة من رجال البحرية فوزارة البحرية اقرت على ارسالي الى لندن حالاً لكي اتفق مع وزارة البحرية البريطانية على الخطة التي تسير عليها في هذه الحرب . وطلب مني ان يجري ذلك كلهُ سرًّا لاننا لم نكن قد شهرنا الحرب على المانيا وان يبقى منصبي رئيساً للمدرسة الحربية وان تبقى زوجتي واولادي في بناء المدرسة حيث هم لكي لا يكون محل للظنون . وتم الرأي على ان اسافر حالاً في سفينة تجارية باسم مستعار وثياب ملكية . وعالما اصل الى انكلترا اذهب الى وزارة البحرية وارسل الى وشنطون تفصيل الاحوال التي اراها

بعد يومين ركبت السفينة الاميركية المسماة نيويورك بثياب ملكية مسمياً نفسي رتشردسن وركب معي رجل من اركان حربي وسمى نفسهُ داڤدسن . وبعد قليل رأى الخادم على ثيابي التحتانية حروفاً لا تتفق مع اسمي فاخبر القبطان بذلك لكن القبطان كان يعلم اني الاميرال سمس وان الرجل الآخر من اركان حربي . وقبلما وصلت السفينة الى البلاد الانكليزية بيومين اعلن الرئيس ولسن في مجلس الامة (الكونغرس) ان اميركا في حالة حرب مع المانيا . وعلم الالمان ذلك فلم تكد السفينة تدنو من لفربول حتى اصابوها بلغم فنقل ركابها الى سفينة اخرى ونجوا كلهم . ووجدت ان وزارة البحرية ارسلت لاستقبالي الاميرال هوب وقطاراً مخصوصاً فركبت معهُ الى لندن حالاً . وكلما فكّرت في حالة البحرية

الانكليزية كما كانت عليهِ في ابريل تلك السنة الصور لها صورتين متناقضتين الواحدة الصورة التي يراها الشعب البريطاني كما تمثلها جرائدهُ واجتماعاتهُ والثانية الصورة التي يراها المسؤولون من رجال السياسة ورجال البحرية كما كنت اراهم حيثما اجتمع بهم . فاكثر الجرائد الانكليزية كانت كثيرة التفاؤل تنشر الاخبار المطمئنة عن حرب الغواصات ولا تحسب انها تؤثر في سلامة الامبراطورة . وان الغواصات هي آخر سهم في كنانة المانيا وقد رمت بهِ فاخطأت الغرض ولا بدَّ من عقد الصلح قريباً . وقد رأيت ان هذا رأي الجمهور ايضاً فلم يكن للغواصات شأن عندهم ولذلك كانت التياترات تمتلىء كل ليلة والناس من الطبقات العليا في امان واطمئنان

وانا نفسي لم اشعر بحرج الموقف قبل وصولي الى انكلترا مع انني تتبعت اخبار الحرب من اولها وقرأت كل ما نشرعنها في الجرائد الاميركية وغير الاميركية ووقفت على كل الاخبار الرسمية التي وصلت الى اميركا . وكنتُ ارى انهُ يستحيل على المانيا ان تخرج من هذه الحرب فائزة لان البحر في يد الحلفاء وهو وحدهُ الضمان الكافي للفوز اخيراً . ولقد قرأت في الصحف الاميركية عما أُغرق من السفن وممَّن غرق بها من النفوس ولكن ذلك لا يكفي لتغيير النتيجة بل كنت احسب ان الحرب تنتهي قبلما تستطيع اميركا ان تعمل فعلاً يذكر بالضمامها الى الحلفاء . وقد شاركني في هذا الرأي اكثر رجال البحرية الاميركية الذين اعرفهم لاننا كنا كلنا من المعجبين بالبحرية الانكليزية المعتقدين انها كافية لسلامة المملكة . لكن زال ذلك كلهُ من نفسي قبلما اقمت اياماً كثيرة في لندن لان وزارة البحرية الانكليزية اطلعتني على امور ادهشتني حتى خيَّل لي انهُ اذا دامت الحال على ذلك المنوال لم تمضِ اربعة اشهر او خمسة حتى يعقد النصر لالمانيا

رأيت الاميرال جاليكو يوم وصولي الى لندن وانا اعرفهُ منذ سنين وكنا كثيراً ما نتكاتب . تعرفت بهِ اولاً في الصين سنة ١٩٠١ وكان حينئذٍ في رتبة كبتن ولكن الذين يعرفونهُ كانوا يتوسمون فيهِ الخير ويقولون انهُ سيكون من رجال البحرية البريطانية المعدودين . وكان من الخبيرين في امر المدافع وهو الموضوع الذي كنت اميل اليهِ وارغب فيهِ وهذا كان الجامع بيننا . ولما قابلتهُ حين وصولي الى لندن كانت سلامة الامبراطورية البريطانية متوقفة عليهِ وكان همهُ

الاكبر التغلب على الغواصات الالمانية ولكنني وجدتهُ رابط الجأش لا يبدو على وجههِ شيءٌ من القلق . بعد السلام اخرج ورقة من درجهِ واعطاني اياها وفيها محمول السفن التي اغرقت في الاشهر الاخيرة من سفن انكلترا وحلفائها والحايدين وقد بلغ هذا المحمول ٥٣٦٠٠٠ طن في شهر فبراير و٦٠٣٠٠٠ طن في مارس وتدل الدلائل على انهُ كان سيبلغ ٩٠٠٠٠٠ طن في ابريل

فدهشت اشد الدهش لما اطلعتُ على هذه الارقام وابديت دهشتي فقال نعم ويستحيل علينا ان نواصل الحرب اذا استمرت الخسائر على هذا النمط

فقلت وماذا تنوون ان تفعلوا

فقال نفعل كل ما نستطيع فعلهُ . فاننا جعلنا نزيد القوات المقاومة للغواصات بكل وسيلة ممكنة ونحاربها بكل ما عندنا من السفن ونحن باذلون اقصى جهدنا في بناء المدمرات وسفن الصيد وما اشبه باسرع ما يمكن ولكن الموقف حرج جدًّا ونحن محتاجون الى كل ما يمكن نيلهُ من المساعدة

فقلتُ يظهر اذاً ان الفوز سيكون للالمان

فقال نعم اذا لم نمنع اغراق السفن باسرع ما يمكن

فقلتُ اما من حلٍّ لهذه المشكلة

فقال انني لا ارى لها حلاً آخر . ثم وصف لي فعل المدمرات وغيرها من السفن المقاومة للغواصات لكن لم يظهر لي انهُ كان واثقاً انها تكفي لمنع ضرر الغواصات. والظاهر انهُ من اول الحرب الى ذلك الحين لم يغرقوا من الغواصات سوى ٥٤ غواصة على ما يعلم واخبرني ان الالمان كانوا يبنون حينئذٍ ثلاث غواصات كل اسبوع ولذلك فسيادة بريطانيا البحرية صارت في خطر والامور صائرة من رديء الى اردأ وسيزيد الخطب في اشهر الصيف حين يطول النهار فان الالمان كانوا واثقين انهم يمنعون سير السفن في البحر في ذلك الحين . وكانت وزارة البحرية البريطانية تحسب انهم ينالون بغيتهم لأنهم اذا اغرقوا ما حمولتهُ مليون طن في الشهر تمَّ ما يتمنونهُ في اول نوفمبر وتضطر انكلترا ان تلقي سلاحها ما لم تستنبط وسيلة اخرى حالاً لمحاربة الغواصات وابطال فعلها

ومرَّت بضعة اسابيع وانا اتذاكر مع الاميرال جليكو وغيره من رجال البحرية كل يوم كأني واحد منهم فلم يخفوا عني شيئاً . وكان كل رجال الحكومة

الانكليزية يودون ان تعلم الولايات المتحدة احوالهم تماماً ويتمنون ان يتحقق ما رسخ في الاذهان حينئذٍ وهو انهُ يمكن ان يستنبط استنباط جديد يقضي على الغواصات . وقام المخترعون شرقاً وغرباً واشاروا بوسائل تعدُّ بالالوف فانشئ فرع في وزارة البحرية برآسة اللورد فشر للنظر في هذه الاساليب فقدِّم لها نحو اربعين الف اسلوب بعضها غاية في الدقة ولكن ما منها ما يفي بالغرض لاسيما وان رجال البحرية كانوا يقولون انهُ ان لم يبطل فعل الغواصات في شهرين او ثلاثة تحقق الفوز للالمان فلو استنبط احد استنباطاً جديداً فعالاً فاتقانهُ يقتضي زماناً طويلاً فتكون الغواصات قد فعلت فعلها قبلما يُتقن

وقد تذاكرت مع المستر بلفور واللورد روبرت سسل والسر ادورد كارسون وسائر اعضاء الوزارة وكان كلامهم معي مخالفاً لكلامهم مع الجمهور فكرروا لي ما قالهُ الاميرال جاليكو . ثم ان حرج الموقف هو الذي حمل المستر بلفور على الذهاب الى اميركا

ما احرج ذلك الموقف موقف الحلفاء فان غواصات الالمان كادت تقضي على التجارة الانكليزية في البحر وجنودهم كانت فائزة على الجنود الانكليزية والفرنسوية في البر . وبلغ فتك الغواصات اشدهُ حينما فشل الحلفاء في هجوم فيمل في ربيع سنة ١٩١٧

قال لي المستر بلفور بعدئذٍ « لقد كان الظلام دامساً حينما مضيتُ الى اميركا فان الغواصات كانت لا تبرح من بالي وكنت لا افكر الا في عدد السفن التي تغرقها وظهر لي حينئذٍ كأن الدائرة ستدور علينا »

ولقيت ملك الانكليز اول مرة في كنيسة مار بولس يوم اقيمت صلاة الشكر لله على دخول اميركا الحرب فشهدت منهُ حينئذٍ وفي كل مرة لقيتهُ فيها بعدئذٍ بساطة الرجل الانكليزي (الجنتلمن) ولطفهُ واخلاصهُ فقال لي « يسرني جداً ان اراك في وقت مثل هذا وان اقابل اميركياً اتى للغرض الذي اتيت لهُ فاتمنى لك كل نجاح » . وبعد ايام قليلة دعاني لافطر ليلة في قصر وندزر فوجدتهُ في قصره قد زاد لطفاً على لطف ورقة على رقة . اخذني بعد العشاء الى غرفة صغيرة وجعلنا نبحث في الحالة الحاضرة ولاسيما مسألة الغواصات فانهُ كان واقفاً على كل

تفاصيلها . واستغربت في اول الامر المامهُ بكل المسائل البحرية ولكن زال استغرابي لما تذكرتُ انهُ من رجال البحرية وقد خدم فيها في صغره كاحد البحارة وظهر لي انهُ خبير بامور بحريتنا ايضاً . وكان رأيهُ في الغواصات كراي جاليكو وسائر رجالهِ وهو انهُ لا بدَّ من توقيف فعلها والاَّ تعذر فوز الحلفاء

ولم ارَ من كل رجال الحكومة الانكليزية ذوي الشأن رجلاً متفائلاً بالخير الاَّ المستر لويد جورج . وقد لقيتهُ مراراً كثيراً اما في بيتهِ الخلوي حيث كنت ازورهُ في اواخر الاسبوع او في ديوان الوزارة في دوننغ ستريت او في اماكن اخرى وكنت اعجب ممَّا اراهُ فيهِ من البشاشة وطلاقة الوجه فانهُ كان يضحك دائماً ويمزح . لا تفارقهُ النكتة والجواب الهزلي حتى في احرج المواقف التي وقعت فيها الامبراطورية . ولم يظهر عليهِ مطلقاً شيءٌ من دلائل الهم او القلق بل كان وجههُ بشوشاً دائماً كوجه فتاة تحب المزاح وكانت عيناهُ تبرقان كأن لا شيء يشغل بالهُ . اي ان الرجل الذي أُلقي على عاتقيهِ مستقبل الامبراطورية البريطانية لم يداخلهُ ريب في ان الفوز لها اخيراً . فكان ينهض همة اهل وطنهِ بخطبهِ ويحيي الآمال في رجال الحكومة باحاديثهِ ويجد متسعاً من الوقت للنكتة والتهكُّم على مقاوميهِ وذكر النوادر من سيرتهِ السياسية فيصرف الاذهان عن الحرب واهوالها . وهو اقدر الرجال الذين لقيتهم في ضبط النفس لا يعادلهُ في ذلك الاَّ رجل آخر من رجال التاريخ وهو لنكن (من رؤساء الولايات المتحدة) فانهُ لما وردت عليهِ انباء الاخبار عما حدث في فردركسبرج وتشنسلرسفيل(١) جعل يملي وزراءهُ بقراءة منتخبات من ارتيموس ورد(٢) ويدخل بينها نكتاً مضحكة ونوادر فكاهية من سيرتهِ

ولعلَّ لاستيلاء البهجة على طبع لويد جورج سبباً دينيًّا فانهُ يعتقد ان تدبير امور الناس في يد العناية الالهية وهي لا تسمح بفوز الالمان . وهكذا كان لكن

(١) Fredericksburg مدينة في ولاية فرجينيا باميركا حدثت فيها معركة كبيرة في ١٣ ديسمبر سنة ١٨٦٢ في الحرب الاهلية الاميركية اشترك فيها ١٩٠٠٠٠ من جنود الشمال والجنوب و Chancellorsville مكان آخر في فرجينيا حدثت فيه معركة كبيرة من ٢ الى ٤ مايو سنة ١٨٦٣ اشترك فيها نحو مائتي الف من جنود الشمال والجنوب (٢) Artemus Ward اسم مستعار لتشارلس براون الكاتب الهزلي الاميركي المتوفى سنة ١٨٦٧

يعتقد ان الفوز في الحرب الاهلية الاميركية سيكون للولايات الشمالية. ولا يفسر اطمئنان لويد جورج الاّ بثقته الوطيدة بالله

كنتُ اتمشّى معهُ بعد هجوم الالمان في شهر مارس سنة ١٩١٨ بثلاثة ايام وكان هو المتكلم في اكثر الوقت . فلم يشر الى الحرب بكلمة مع ان افكار العالم كلهِ كانت مشغولة بها بل تكلم على التجنيد في ارلندا وتأثيره في اميركا وكان يلمح كلامهُ بنكت من نوع المزح يرشق بها المستر بلفور . ولم اقابلهُ مرةً الاّ وهو على هذه الصورة . وقد حاولتُ مراراً ان الفتهُ الى حرج الموقف والخطر المحدق بالامبراطورية فكان يقول لي « نعم الحالة حرجة » ثم يتبسم ويشير بيدهِ ويقول « ولكننا سنفوز على الغواصات فلا تخف »

وهو الوحيد من هذا الوجه اما سائر الوزراء ورجال السياسة فقلما كانوا يخفون ما يخامرهم من القلق

لا يزال الجمهور يعتقد ان الالمان استعملوا الغواصات مخاطرةً كآخر سهم في كنانتهم وانهم لو علموا ان اميركا تدخل الحرب وتوقف لها كل رجالها ومواردها لما خاطرت حكومتهم هذه المخاطرة. وهذا الاعتقاد خطأ فان الالمان كانوا واثقين ان الغواصات ستليلهم بغيتهم حتماً فلم يخاطروا بشيء بل عملوا عملاً كانوا يحسبون ان نتيجتهُ مقررة فانهم كانوا يعلمون ما عند الحلفاء والمحايدين من السفن فوطنوا النفس على اغراقها وحسبوا الزمن الذي يتم اغراقها فيهِ . ولم يستحسنوا انضمام الولايات المتحدة الى اعدائهم لا لانهم كانوا يحسبون لنا حساباً في الحرب بل لانهم كانوا يودون ان تبقى على صداقتهم حين عقد الصلح اما عدم حسابهم حسابنا فليس لانهم كانوا يستخفون بقوتنا الحربية بل لانهم كانوا واثقين ان جنودنا لا يمكن ان تصل الى ميادين القتال . وكانوا واثقين ايضاً ان الغواصات تنهي الحرب في ثلاثة اشهر او اربعة وهذه المدة لا تكفي الولايات المتحدة لجمع الجنود فاعلان اميركا الحرب عليهم ولو كان عددنا مئة مليون نفس لا يؤثر فيهم اكثر مما يؤثر فيهم اعلان سكان المريخ الحرب عليهم. ومما يؤيد ذلك ما كان يقولهُ لنا رجال الغواصات الذين كنا نقبض عليهم فانهم كانوا يقولون « ان قبضكم علينا لا يفيدكم شيئاً لان المانيا تبني اثنتي عشرة غواصة مقابل كل غواصة تأسرونها. وستنتهي الحرب على كل حال بعد شهرين او ثلاثة وتردونا الى بلادنا »

وكان هؤلاء الاسرى يضحكون كلما قيل لهم ان الدائرة ستدور على المانيا. ولم يتصرفوا مطلقاً كاسرى بل كأنهم هم الفائزون. وكانوا في الغالب يالفون في عدد ما اغرقوه من السفن ويقولون ان الحرب ستنتهي في اول يوليو او اول اغسطس. الاَّ ان الذين ذاكرتهم من الانكليز كانوا يقولون ان الحرب تنتهي في اول نوفمبر ان لم تستنبط وسيلة لمنع فعل الغواصات

وسيأتي الكلام في الجزء التالي على كيف تمكن الحلفاء من الفوز على الغواصات وايصال الجنود من اميركا الى اوربا

مهد الساميين

(كاتب هذه المقالة الاستاذ جون بيترس الاميركي نشرها في الجزء الاخير من مجلة الجمعية الشرقية الاميركية وقد عربناها بتلخيص كثير)

الرأي الشائع الآن ان مهد الساميين او وطنهم الاول هو شبه جزيرة العرب ومنهُ انتشروا الى هنا وهناك من بقاع المعمورة. وهذا الرأي هو ركن كل ما كتب عن تاريخ الشرق الادنى في الخمسين سنة الماضية وقد كنتُ في مقدمة القائلين بهِ. وخيل اليَّ ان في جملة البراهين على صحة هذا الرأي وجود علاقة لغوية او شبه بين لغة المهاجرين السابقين واللاحقين من بلاد العرب شمالاً. وظهر من النقوش والكتابات التي وجدت في شمال سورية ان المهاجرين الاولين من الاراميين الى نواحي شمال سورية اقتبسوا بعض لغة المهاجرين الساميين الذين سبقوهم اليها كما ان العبرانيين والمؤابيين وغيرهم من الامم الارامية في اصلها تكلموا لغة لا تكاد تختلف عن لغة الكنعانيين. ومثل ذلك يقال عن الانباط فانهم عرب ولكن لغتهم كانت فرعاً من اللغة الارامية التي تكلم بها المهاجرون السابقون

ويقول اهل الرأي المتقدم ان المهاجرة الاولى من بلاد العرب شمالاً جرت في الالف الرابعة قبل المسيح (اي بين سنة ٣٠٠٠ و٤٠٠٠) فكانت نتيجتها توطن البابليين الساميين في شمال سورية شرقاً وغيرهم من الساميين غرباً تفصل بينهم الصحراء (بادية الشام). وفي اواسط الالف الثالثة قبل المسيح طمى سيل